مجلة جامعة صبراتة العلمية
Sabratha University Scientific Journal

مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية
تصدرها جامعة صبراتة بشكل إلكتروني

الإدغام الأصغر عند ابن جني المتوفى (392 هـ)

Al-Idgham Al-Asghar according to the deceased Ibn Jinni (392 AH)

أ.كريمة أبو القاسم خليفة إمحمد
محاضر بقسم اللغة العربية كلية الآداب الجميل – جامعة صبراتة
Krymtabwlqasm@gmail.com

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية:
2017-139

الترقيم الدولي:
ISSN (print) 2522 - 6460
ISSN (Online) 2707 - 6555

الموقع الإلكتروني للمجلة:
https://jhs.sabu.edu.ly

الإدغام الأصغر عند ابن جني المتوفى (392 هـ)

Al-Idgham Al-Asghar according to the deceased Ibn Jinni (392 AH)

كريمة أبو القاسم خليفة امحمد*

ملخص:

إن علماء اللغة العربية في القرن الرابع الهجري أبدوا اهتماما منقطع النضير بالمسائل الصرفية والصوتية، وعلى رأسهم نذكر عالمنا ابن جني المتوفى (392هـ)، لذلك رأيت أن أبحث في رأيه بشأن الإدغام الأصغر كما سماه، فتبين لي عمق رؤيته الصوتية لهذه الظاهرة، التي وضح أهم مظاهرها التي تمثلت في الإمالة، وفي فاء (افتعل) وما كان فيه حرف استعلاء وما كان فيه حرف حلقي وإضعاف الحركة. وختمت البحث بخاتمة تلخص أهم ما جاد فيه وتوضح نتائجه.

الكلمات المفتاحية: الصوتيات – الإدغام – اللغة العربية.

Al-Idgham Al-Asghar according to the deceased Ibn Jinni (392 AH)

Abstract:

The scholars of Arabic language in the fourth century showed an obvious interest in studying morphological and phonetic issues. Ibn Jinni, who died (392 AH), was well-known for this interest. This paper intends to investigate his opinion regarding the minor assimilation, as he called it. This review revealed the depth of his phonetic vision of this phenomenon. Its manifestations are represented by the slanting, the fa' (fat'al), the letter of superiority, the vowel letter, and the weakening of the case movement. The paper concluded with a summary of the most important aspects of his views and a conclusion of his main results.

***Keywords**: phonetics - assimilation - Arabic language.*

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد ﷺ، وآله وصحبه أجمعين، وبعد.

ابن جنّي[1] ليس مجرد عالم من علماء اللغة وجهابذتها يمرُّ به القارئ أو الباحث عَبَراً، بل هو نموذج من القلائل في عصره للعلماء الذين سبروا أغوار اللغة العربية، مستنبطين كنوزها ودُرَرَها، والذي مَيَّزَهُ عن غيره في أوانه، هو دقّة التشخيص بأوجز عبارة وأوضحها؛ لذا فقد تناولت موضوع الإدغام الأصغر لديه، والذي ذكره في كتابه الخصائص.[2]

إشكالية البحث:

تَكْمُن في أن بعض المهتمين باللغة العربية ودراستها يخلطون بين الإدغام الأصغر عند ابن جني والإدغام الذي هو من أحكام التلاوة والتجويد، وسنفصل في الشرح والتوضيح.

أهمية البحث:

* ماجستير اللغة العربية
محاضر بقسم اللغة العربية كلية الآداب الجميل - جامعة صبراتة
Krymtabwlqasm@gmail.com

تتمثل في أن موضوع الإدغام الأصغر عند ابن جنّي ليس مجرّد معلومات تتعلق بحكم لغوي فحسب، بل هو ظاهرة صوتية جديرة بالتدقيق والتمحيص. كما أنَّ هذا الموضوع يخدم الشريعة الإسلامية ونصوصها خدمة جليلة.

هدف البحث:

الوصول إلى إدراك علمي دقيق بطريقة اللفظ وحُكْمِه بغية الابتعاد عن الخطأ قدر الإمكان، وكذلك تمكين الدارسين من فهم الظاهرة فهماً جيداً ودقيقاً.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث قُمْتُ بدراسة ما جاء به ابن جنّي في موضوع الإدغام الأصغر ودعمه بالأدلة عند من سبقه

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

- المقدمة وقد تحدثت فيها عن الموضوع بشيء من الإيجاز.
- أما المبحث الأول: فقد كان للتعريف بالإدغام لغة واصطلاحاً، الإشارة إلى ضبط المصطلح عند علماء المدرستين البصرية والكوفية.
- المبحث الثاني: الإدغام علّته وأسبابه، أحكامه، شروطه.
- المبحث الثالث: الفرق بين الإدغام الأصغر في قواعد اللغة، وأحكام التجويد، تناول بن جنّي للإدغام الأصغر.
- وعن الخاتمة فسأضمنها أهم النتائج التي سيخلص إليها البحث، كما أرفقته بقائمة المصادر والمراجع التي سأفيد منها واستقي منها الأدلة، وما كان من توفيق وسداد فمن المولى عزّ وجل، وما كان فيه من خطأ فمن النفس التي من سمتها النقص فأسأل الله العظيم التوفيق والنفع والسداد.

المبحث الأول: التعريف بالإدغام

أولا: تعريفه في اللغة

"دَغَمَ: دَغَمَ الغيثُ الأرضَ يَدْغَمُهَا، وأَدْغَمَهَا إِذَا غَشِيَهَا وقَهَرَهَا.والدَّغْمُ: كَسْرُ الأنف هَشْماً... وفي النوادر الدُّغَامُ والشُّوَال: وَجَعٌ يأخذُ في الحلق... والإدغام إدخال حرف في حرف. يُقال أَدْغَمْتُ الحرف وادَّغَمْتُهُ على افتعلته، والإدغام: إدخال اللجام في أفواه الدّواب..."[3].

كذلك قال: سَاعِدةُ بن جُؤَيَّة.[4]

بِمُقْرَبَاتٍ بِأَيْدِيهِم أَعِنَّتُهَ أخوص، إِذَا فَزِعُوا أُدْغِمْنَ بِاللُّجُمِ[5]

وقيل فيه أيضاً: "الدُّغْمَةُ: لون من قولهم: فَرَسٌ أَدْغَمُ، وهو الديزمج بالفارسية الذي لون وجهه يخالف لون سائر جسده، ولا يكون إلا سواداً، ومثل من أمثالهم: الذئب أدغم. وتفسير ذلك أن الذئاب دُغْمٌ ... ومنه إدغام الحروف بعضها في بعض.[6]

إذاً المعنى اللغوي العام للإدغام هو: الإدخال والتداخل، وهكذا ورد في أغلب قواميس اللغة العربية.

ثانيا: تعريفه اصطلاحاً

هنا لم يبتعد معنى الإدغام عن معناه في اللغة بقدر ما اقترب منه، وذلك حين دلَّ على التداخل فلم يختلف علماء اللغة الذين تكلموا في تعريفه اصطلاحاً قدامي ومحدثون. بأنّه إدخال حرف في حرف. نذكر منهم وعلى رأسهم سيبويه[7] المتوفى (180هـ) الذي قال: "الحرفين الذي تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه، وقد بيَّنا أمرهما إذ كان من كلمة لا يفترقان، وإنما نبينهما في الانفصال".[8] كما ذكر في باب التضعيف "اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخفَّ عليهم من أن يكون من موضع واحد، وذلك لأنّه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثُمَّ يعودوا له، فلما صار ذلك تعبا عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهملة، كرهوه وأدغموا؛ لتكون رَفْعَةً واحدة، وكان أخفَّ على ألسنتهم ممَّا ذكرتُ لك".[9] وزاد ابن جنّي في هذا الأمر توضيحاً حين تحدث عن الإدغام الأصغر قائلاً:"والمعنى الجامع لهذا كلّهِ هو تقريب صوت من صوت...[10] ولم يخالفهم علماء التجويد في تعريفهم إيَّاه. فقيل:"هو التقاء حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصير انحرفاً مشدَّداً كالثاني يرتفع عنده ارتفاعة واحدة".[11] ويقول الزمخشري[12] المتوفى (538 هـ): "ثَقُلَ التقاء المتجانسين على ألسنتهم فعمدوا إلى ضرب من الخفة"،[13] وشرحه ابن يعيش[14] المتوفى (643 هـ) بقوله:" هو أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران لشدّة اتصالهما كحرف واحد يرفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة فيصير الحرف الأول كالمستهلك لا على حقيقة التداخل والإدغام".[15] ولن نسرد هنا كل التعريفات الواردة عن العلماء بشأن الإدغام بقدر ما تجب الإشارة إلى أنها لا تتباعد أو تتنافى في إثبات حقيقته وهي التداخل بين الحروف بأن يكون الأوَّل ساكناً، والثاني متحركا فيدغمان ويصيران حرفاً مضَعَّفاً من جنس الثاني، ويكون في الكلمة الواحدة، وفي كلمتين.

لكن السؤال الذي يُفْتَرَضُ الإجابة عنه. هل يكون الإدغام في جميع الحروف؟ لنجيب على هذا التساؤل يتوجب علينا ذكر أو استذكار حروف اللغة العربية ومخارجها وصفاتها.

قال سيبويه: "هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها، ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها.

فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء،والنون، والطاء، والدال، والتاء،

والصاد والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والواو"[16]، أما مخارجها فقال عنها:" ولحروف العربية ستة عشر مخرجا"[17]، وفَصَّلَ القول في صفاتها بشكل كبير وعلمي ودقيق كما أنّه بَيَّنَ سبب هذا التفصيل فقال: "وإنَّما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام، وما يجوز فيه، ومالا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه،وما تبدله استثقالاً كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك.[18]

كما أنه قسَّم صفات الحروف وجعلها ما يدل على الشدّة والرخاوة وما بينهما، واللين والهوى، والجهر والهمس، والتفخيم والترقيق، وجعل الشداد أربعة هي: ما يمتنع معه التنفس، والمنحرف والأنفي، والمكرّر[19]، أما علماء العصر الحديث فقد جعلوا مخارج الأصوات ما بين العشرة والثلاثة عشر مخرجاً ابتداءً من الحبلين الصوتيين وانتهاء بالشفتين، وهناك من جعلها اثنتا عشر مخرجاً، كما جعلوها عشرة مخارج فقط. وبنظرة إلى توزيع المخارج ندرك قرب الأصوات بعضها من بعض.

1. الحنجرة (الهمزة والهاء)
2. وسط الحلق (العين، والحاء)
3. أدنى الحلق (الغين، والخاء)
4. لهوي (القاف)
5. طبقي (الكاف)
6. غاري (الجيم، الشين، الياء)
7. أسناني جانبي (الضاد)
8. لثوي خلفي (الراء، واللام، والنون)
9. لثوي أمامي (الدال، والتاء، والطاء)
10. أسناني لثوي (الذال، الثاء، الظاء)
11. أسناني شفوي (الفاء)
12. شفوي (الباء، الميم، والواو)

فلام التعريف تدغم فيما قَرُبَ إليهَا من أصوات، وهي أصوات طرف اللسان أي المخارج ذات الأرقام (11) و(10) و(9) و(8) و(7)، وصوت الشين من المخرج السادس، وتظهر عند بقية الأصوات لبعدها عنها.[20]

الإشارة إلى ضبط المصطلح:

أولا: عند علماء المدرسة البصرية

وَرَدَ المصطلح لدى علماء البصرة بالضبط التالي ((الإدَّغَام))

بالتضعيف مصدر فعله ((افْتَعَلَ)) أي((ادَّغَمَ)) وبه تحدَّث واستعمله سيبويه، وعنه قال الأشموني[21] المتوفى (929 هـ): "والإدّغام بالتشديد افتعال منه، وهو لغة سيبويه".[22]

واختاروا ذلك؛ لأنّه في رأيهم يدلّ على حدوث الظاهرة في اللغة وكثرتها، وأكثر دلالة على الإدخال والتداخل من الافتعال؛ ولأنّه مُحْدَثٌ في الكلمات والألفاظ، وليس حادث فيها؛ ولأنّه يدل على الحركة في الفعل أكثر.

ثانيا: عند علماء المدرسة الكوفية

هو بلفظهم ((الإدغام)) بسكون الدّال وليس بتضعيفها؛ لأنّهم يشتقونه من ((أفعل)) أي ((أدغم))، ومصدره ((الإفعال)) وهو عندهم هكذا؛ لأنّه فعل المتكلم أي أَحْدَثَ إحْدَاثا، وأشار إلى مسألة الضبط عند المدرستين غير واحد من القدامى منهم ابن يعيش حين قال: الإدَّغام بالتشديد من ألفاظ البصريين، والإدْغَام بالتخفيف من ألفاظ الكوفيين"[23]، كما ذكر ذلك المحدثون ومنهم الشيخ أحمد الحملاوي الذي قال: بسكون الدال وشدّها، والأولى عبارة الكوفيين، والثانية عبارة البصريين، وبها عبَّر سيبويه"[24] كما وَرَدَ في كتاب تصريف الأفعال الإدْغَام بسكون الدال عبارة الكوفيين، وتشديدها الإدّغام عبارة البصريين إدَّغَمَ إدَّغَاماً".[25] وفي رأيي أنّه لا ضير من حيث الضبط في المصطلح ففي كليهما الدلالة المرجوة أي معنى التداخل سواء إن كان بالتضعيف أم من دونه؛ لأنّه لا يُخِلُّ بالمعنى المراد منه، بدليل أنه لم يرد فيما قرأنا من قواميس اللغة العربية واستعمالاتها معنى آخر يخالفه، فالفائدة متحققة في كلا الضبطين.
هذه اللمحة البسيطة عن ضبط المصطلح أردت بها توضيح عدم الفرق في المعنى.
المبحث الثاني: الإدغام: علّته وأسبابه، وأحكامه وشروطه.

علته وأسبابه:

اتفق العلماء قدامي ومحدَثون وعلماء التجويد على أنّ سبب الإدغام هو إرادة الوصول إلى السلاسة والسهولة في النطق والاقتصاد في الجهد العضلي للمتكلم، فضلا عن النظر إلى الإدغام من حيث إنه حركة عضوية لجهاز النطق القصد منه التخفيف والاختصار، وقد أشار إلى ذلك الشيخ: "وهو مطلب التخفيف بوصل حرف ساكن وبحذف مثله متحرك دونما فصل بينهما بحركة أو وقف، ويكون في الحروف جميعها عدا الألف لسكونها أبدا".[26]

أحكامها:

تنوعت الأحكام بين الواجب والجائز والممنوع،[27] أمَّا حروفه عند علماء التجويد فقد جُمِعَت في ((يرملون)) ويُفَضَّلُون في أحكامه فمنه الإدغام بغنَّة، وإدغام بغير غنَّة، ويسمونه بالكامل والناقص كما سموه بالإدغام الأكبر، والإدغام الأصغر.[28]

شروطه:

للإدغام شروط عديدة يجب أن تتوافر كي يتحقق بها، وإلا فقد يصبح جائزاً أو ممنوعاً بحسب الإخلال بتلك الشروط، التي أشهرها: أن يكون في كلمة (كمَدّ) وفي كلمتين نحو (جَعَلَ لَّكُم) وألاَّ يتصدر أحدهما متحرك مثل: دَدَ ن.

وألاً يتصل بمدغم جمع مثل: جُسَّسٌ جمع جاسّ.

وغيرها كثير من الشروط المهمّة،[29] لكن الجدير بالذكر أن ابن جنّي اهتمّ بالتفريق بين أنواع الإدغام، وجعلهما نوعين هما:

الإدغام الأكبر، وذلك حين قال: "قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنّما هو تقريب صوت من صوت"[30] وفَصَّل في شرح ما يندرج تحته من أنواع فمنه: التقاء المثلين على الأحكام، ومنه التقاء المتقاربين على الأحكام التي تسوّغ الإدغام، ومثال الأوّل قَطَّعَ، وسُكَّرْ، وأصلها: قَطْطَعَ، سُكْكَر. وتقطيعها الصوتي: CVC/CV/CV.

أما مثال الثاني فهو: وَدَّ، وأصلها: وَدِدَ أو وَدَدَ.

وامَّحي، وأصلها: انمحى وتقطيعها الصوتي: CVC/CV/CVV. وختم الحديث عنه بقوله: "فهذا حديث الإدغام الأكبر".[31]

أمّا الإدغام الأصغر عنده فهو "تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك".[32] بهذا أكون قد أشرت في عجالة إلى ما يتعلق بالإدغام من قواعد وأحكام.

المبحث الثالث: الفرق بين الإدغام في قواعد اللغة، وأحكام التجويد

هنا نطرح سؤالاً وهو هل يوجد فرق بين الإدغام في قواعد اللغة العربية العامة، وبين أحكام التجويد أم لا؟

للإجابة على هذا التساؤل لا بد من البحث عمّا قاله سيبويه في هذا، فقد ورد عنده الإدغام يقع في كلمة واحدة، كما يقع في كلمتين، وقد استحسنه في مواضع وقبّحه في مواضع أخرى كما أجازه في مواضع ثالثة، ومنعه منعاً قطعياً في اجتماع الهمزتين[33] أما عند علماء التجويد فالإدغام لا يكون في جميع الحروف وإنَّما في أحرف ستة فقط جُمِعَتْ في ((يرملون))، كما قسموه إلى إدغامين، بغنّة وبغير غُنَّة، والأوّل يُسَمَّى ناقصاً وأحرفه ي، م، ن، ويكون بعد نون ساكنة أو تنوين، والثاني يُسَمَّى كاملاً وهو إدغام بلا غُنَّة، ويكون في حرفين هما (ل ، ر)، ويسمي كاملاً، لذهاب الحرف (النون أو التنوين) والصفة (الغنة) معاً.

بالرغم من عدم اختلاف اللغويين مع علماء التجويد في تعريف الإدغام إلاَّ أنهم اختلوا في مواضعه وأحكامه.

تناول ابن جني للإدغام الأصغر:

في هذا المبحث سأحاول التفصيل فيما جاء عند ابن جنّي في موضوع الإدغام الأصغر وقد جعله أنواعاً:

1- الإمالة:

قال فيها " فمن ذلك الإمالة وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو عالم وكتاب، وسَعَى، وقَضى واسْتَقْضَى ألا تراك قرّبت فتحة العين من عَالم إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء، وكذلك سَعَى وقَضَى تحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها، وعليه بقية الباب".[34]

وهو في هذا ينتهج نهج سيبويه الذي جعل الإمالة من صور الإدغام حين قال: "فالألف تُمَال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك عابد وعالم... وإنّما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا صَدَرَ، فجعلوها بين الزاي والصاد، فقربها من أشبه الحروف من مواضعها بالدال وبيان ذلك في الإدغام.

فكما يريد في الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد، كذلك يقرب الحرف إلى الحرف على قدر ذلك [35]، وإذا ترجمنا كل ذلك من منظور علم الأصوات الحديث فإنه سيكون كالتالي:

إن الإمالة هي عملية صوتية مصاحبة للأصوات التي تخرج من مخرج واحد، أو مخرجين متقاربين تلْحَظُ في العمليات التصويتية المسموعة لا المكتوبة، فهي طريقة النطق الصوائت القصيرة تحديداً فالفتحة في (عَالِم) صائت أمامي متسع قصير، والانتقال منه إلى صائت أمامي ضيق قصير أيضاً وهو الكسرة. بهذه الكيفية لنطق الألفونات التي تتلقاها أذُن السامع تتجلَّى وتتضح صور الإمالة، وأشهر صورها في تجويد القرآن الكريم في بعض القراءات المشهورة، كما أن بعض اللهجات في ليبيا هي مثال حي وواقعي للإمالة فتلاحظها عند سكان الزاوية وصبراتة بشكل كبير وواضح لدرجة التميز بها.

2-في (فاء افتعل):

يرى ابن جني أن الإبدال في هذا الحرف هو نوع من أنواع الإدغام الأصغر وذلك بقوله: أن تقع فاء افتعل صاداً أو ضاداً، أو طاء أو ظاء، وذلك نحو اصطبر، واضطرب واطّرد، واظطلم فهذا تقريب من غير ادّغام، فأمّا اطّرد فمن هذا الباب أيضاً ولكن ادّغامه وَرَدَ ههنا التقاطا لا قصداً[36] أي: فجأة يقول سيبويه: وإذا كانت هذه الحروف المتقاربة في حرف واحد، ولم يكن الحرفان منفصلين ازداد ثقلا واعتلالا كما كان المثلان إذا لم يكونا منفصلين أثقل، وقالوا في مفتعل من صبرت، مصطبر أرادوا التخفيف حين تقاربا، ولم يَجُزْ إدخال الصاد فيها لما ذكرنا في المنفصلين فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالصاد وهي الطاء ليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد".[37] في النص السابق شرح وافٍ عن إبدال الأصوات المتقاربة تخفيفاً فصعوبة النطق بالصاد والطاء مجتمعتين أوجبت الإبدال الذي هو ضمن دروس الصرف، إلاّ أن لابن جنّي رأيا في جعله من الإدغام الأصغر وهو مصيب في هذا بالرغم من تداخل مباحث الصوت والصرف فيه.

3 ما كان فيه حرف استعلاء:

وردت في اللغة العربية كلمات بها حرف السين وأعقبها حرف استعلاء، وهذا أكثر وضوحاً واستعمالاً من إبدال تاء (افتعل) وذلك بأن تُقْلَب المين صاداً في مثل: سُقْتُ، صُفْتُ، سَقَر، صَقَر وهو مستعمل إلى يومنا هذا، فيقولون: سُبُّورة وصُبُّورة وسورة وصورة. وفيها قال ابن جنّي: "ومن ذلك قولهم سِتٌّ أصلها سِدْس، فقربوا السين من الدال بأن قلبوها تاء، فصارت سِدْت، فهذا تقريب لغير إدّغام، ثم إنهم فيما بعد أبدلوا الدال تاء لقربها منها إدارة للإدغام الآن، فقالوا: ست فالتغيير الأوّل للتقريب من غير إدّغام، والتغيير الثاني مقصود به الإدّغام[38]، وهو هنا لا يخالف رأي سيبويه [39]، في حين أن الزمخشري عدّه إدّغاماً شاذاً[40]، فإبدال السين صاداً ليس إدغاماً حقيقياً ولا إدخال فيه وإنّما إبدال بين متقاربين بغية التخفيف الذي هو من سمات اللغة العربية.

4-ما كان فيه حرف حلقي:

عد ابن جنّي حروف الحلق من حروف الإدغام الأصغر في حال سُبِقت بكسر في بداية الكلمة وذلك حين قال: "ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق. نحو شعير، وبعير، ورغيف.... ومن ذلك أيضاً قولهم: ((عَلَ، يَفْعَلْ)) مما عينه أو لامه حرف حلقي، نحو: سَأَلَ، يَسْأل وقَرَا يَقْرأ...وذلك أنهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق كما كان موضعا منه مخرج الألف التي منها الفتحة.[41]

ويستند فيما يذهب إليه رأي سيبويه الذي يقول: وفي فَعِيل لغتان: فَعِيل وفِعِيل إذا كان الثاني من الحروف الستة مطّرد ذلك فيما لا ينكسر في فَعِيل ولا فَعِل، إذا كان كذلك كسرت الفاء في لغة تميم وذلك قولك: لِئِيم، وشِهِيد، وسِعِيد... فلزمها الكسر هَهُنا وكان أقرب الأشياء إلى الفتح... وكان ذلك أخف عليهم حيث كانت الكسرة تشبه الألف فأرادوا أن يكون العمل من وجد واحد. كما أنهم إذا أدغموا فإنّما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد".[42]

إذا وافق ابن جنّي رأي سيبويه ولم يخرج عمّا أشار إليه إلا بجعله تقريب الصوت مع حرف حلقي صورة من صور الإدغام الأصغر في حين عده سيبويه من اللغات أي اللهجات.

5-في (مُنِتن ومِنِتن):

في هذا أيضاً يسير ابن جنّي على خُطى سيبويه ويشير إلى رأيه ولا يخالفه إلاّ في جعله من باب الإتباع للحركة واللهجات أو اللغات عند سيبويه حين قال:"وأما الذين قالوا مغيرة فليس على هذا ولكنّهم أتْبَعُوا الكسرة للكسرة كما قالوا مِنْتن، وأنْبُوك وَأجُوءُك، يريد: أَجِيئُك وأُنْبُك[43] بعد أن ذكر ابن جنّي هذا الرأي وضّح اشتقاق الفعل الذي يرى فيه مَنْ قال بالضم (منتن) جاء بالأقل استعمالاً، وهي لكنة.

6-في (مَصْدَر، ومَزْدَر):

يرى في إبدال الزاي صاداً إدغاماً أصغر دون تضعيف إذ يقول: ومنه تقريب الحرف من الحرف، نحو قولهم: في نحو: مَصْدَر مَزْدَر، وفي التَّصْدِير: التَّزْدِير[44]، هنا يشرح العلة الصوتية ويوضحها بأن همس الصاد تجاور مع جهر الدال بالإضافة إلى التسكين الذي أضعف الصاد، الأمر الذي أدّى إلى ضرورة تقريبها من الدال، فأُشِمَّتْ من الزاي القريبة منها في المخرج والصفة، واستشهد على هذا بقول الشاعر:

اَلَمْ بُخْرِ التَّقَرُّق جُنْدَ كِسْرَي ونُفْخُوا فِي مَدَائِنِهِم فَطَارُوا[45]

الشاهد فيه: تسكين المتحرك في (نُفْخُوا). وهي لغة من لغات العرب أي اللهجات، والرأي عندي أن ما أورده ابن جنّي في هذا الباب هو من الإبدال بين حركة وحركة أو حرف من حرف يجوز في مواضع ولا يجوز في مواضع أخرى، ولكن يبقى السماع هنا مقياساً لا يستهان به في ضبط هذا.

7-إضعاف الحركة:

بعد إشارته إلى الإبدال وتغيير الحركة يضيف الآن إشارة أخرى بشأنها وهي إضعافها-الحركة- وعده من الإدغام الأصغر أيضاً بقوله: "ومن ذلك إضعاف الحركة للتقريب بذلك من السكون نحو حي، وأجي وأعِي"[46]، فالحركة المُخْفاة في الفعل تطقاً، والتي لا تخفى خفاء كاملا وإنما بين: هي ليست بإدغام حقيقي كامل، ولا إخفاء كاملا، والدليل عليها أنها تظهر في النطق وفي وزن الكلمة.

وقد وردت عن العرب. قال الشاعر:

أَأَنْزُمَّ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِيزَةً وَصَاحَ غُرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ حَزِينَ[47]

الشاهد فيه: تخفيف الهمزة، فعرف عن العرب أنه إذا اجتمعت همزتان حققت الأولى وحُقِّقَت الثانية، بشرط أن تكونا في كلمتين وأهل الحجاز استثقلوا تحقيق الواحدة بحسب رأي سيبويه فمالوا إلى التخفيف، وجعلوها همزة واحدة بين بين.[48] وكل هذا الفيصل فيه السماع أو السمع؛ لأن المشافهة هي التي تحكمه من حيث هي نشاط عضلي لطفي متعمد ومقصود، غايته النطق بالكلمات سليمة وخفيفة وسهلة دون تعقيد.في هذه الرحلة السريعة والمستعجلة مع ابن جني في موضوع الإدغام الأصغر نصل إلى نتائج سنسردها، ويبقى النقص من سمات البشر.

خاتمة:

1- فرَّق ابن جنّي في كتابه الخصائص بين الحرف والصوت وهذا يُعَدّ درساً صوتياً علمياً دقيقاً إذ أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة المعملية صحة ما ذهب إليه عَالِمُنا، كما عرف اللغة حين قال: إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.[49]

2- أشار ابن جنّي إلى الإدغام الأكبر بقوله: "قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت[50]، وأشار إلى عمل الصوائت والإبدال بأنه الإدغام الأصغر بقوله: وأمّا الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام.[51]

3- تفرّد ابن جنّي بتسمية الإدغام الأصغر فلم تَرِد عند سيبويه، الزمخشري وابن يعيش، ولا الأشموني، وهذه ميزة له.

4- الإدغام الأصغر عند ابن جنّي، غيره عن الإدغام الأكبر، وغيره الإدغام في أحكام التجويد والتلاوة.

5- أشار ابن جنّي إلى أن تقريب الصوت من الصوت تعريف يشمل نوعي الإدغام الأكبر والأصغر، أما تقريب الحرف من الحرف فيخص به الإدغام الأصغر، كما فرق بين الصوت ووظيفته، فتأثُّر الصوت بالسابق له واللاحق يُغير في صفاته، من حركة وهيئة نطق منها المسموع، ومنها المرئي.[52]

6- بَيَّنَ سبب تسمية الإدغام الأصغر من باب الاحتراز والاحتياط، ولشبه بينه وبين الإدغام الأكبر.

الهوامش:

1. هو أبو الفتح عثمان الموصلي، له كُتب عديدة في النحو والصرف، من علماء البصرة.
2. الهيئة المصرية لكتاب، ط 4: ج 2/141.
3. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، 1414 هـ ط 3: 12/ 202.203 مادة (دغم).
4. هو ابن كعب بن كامل من سعد هذيل، مخضرم، شاعر مخضرم، شعره محشو بالغرابة والغموض، له ديوان شعر مطبوع.
5. البيت من البحر الكامل، الشاهد فيه: أدغمن.
6. جمهرة اللغة، أبوبكر محمد بن الحسن ابن دريد، دار صادر، 1345هـ، ط1:2/288. مادة (دغم).
7. هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبرُ، فارسي، ينتمي بالولاء إلى الحارث بن كعب.
8. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحق. عبد السلام محمد هارون، ط4، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، 1/437.
9. المصدر نفسه: والجزء نفسه / 417.
10. الخصائص ابن جنّي الهيئة المصرية للكتاب، بلا تاريخ، ط4: 2/142.
11. المختصر المفيد في أحكام التجويد، مجهول، مؤسسة الإيمان، بيروت، 1402 هـ، ط: 1/610.
12. هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري من علماء العربية، نحوي بليغ.
13. المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم الزمخشري، تحق، علي بوملحم، ط1، مكتبة الهلال، بيروت، 1993م، 545.
14. هو موفق الدين بن يعيش النحوي.
15. شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، بلاط: 10/121.
16. الكتاب: 4/432 431.
17. المصدر نفسه: والجزء نفسه / 433.
18. المصدر السابق: والجزء نفسه / 436.

19.ينظر المصدر السابق: الجزء نفسه / 431-436.
20.ينظر الكتاب: 4/445-477، والخصائص: 2/141-147، والمفصل: 556545.
21.هو أبو الحسن نور الدين علي بن محمد يوسف، النحوي فقيه وأصولي ومنطقي، من القاهرة، يُنسب إلى أشمون.
22.شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، بلا تاريخ، بلاط: 2/659.
23.شرح المفصل: 10/121.
24.شذا العرف في فن الصرف، 1965 م، ط، 16: 170.
25.أحمد محمد الشيخ، ط1، دار المورد، بيروت، 1987م، 35.
26.تصريف الأفعال: 35.
27.ينظر الكتاب: 4/445-477، والخصائص: 2/141-147، وشرح المفصل: 545-556.
28.ينظر الكتاب: 4/445-477، وشرح المفصل: 10/121-122، وشرح الأشموني: 2/689-669.
29.يُنظر شذا العرف: 171172.
30.الخصائص: 1392.
31.المصدر نفسه: والجزء نفسه /141.
32.المصدر السابق: والجزء السابق / والصفحة السابقة.
33.ينظر الكتاب: 4/436-435.
34.الخصائص: 2/141.
35.الكتاب: 4/117.
36.الخصائص: 2/141.
37.الكتاب: 4/467.
38.الخصائص: 2/143
39.يُنظر الكتاب: 4/481،482
40.ينظر المفصل في صنعة الإعراب: 556
41.الخصائص: 2/143
42.الكتاب: 4/107،108.
43.المصدر نفسه: الجزء نفسه 109
44.الخصائص: 2/145
45.البيت من البحر الوافر، للقطامي.
46.الخصائص: 2/141
47.البيت من البحر الطويل، وهو من شعر كثير.
48.يُنظر الكتاب: 4/109
49.الخصائص: 1/34
50.المصدر نفسه: 2/141.
51.المصدر السابق: والجزء السابق 143
52.ينظر المصدر السابق: والجزء السابق / 144-145.

قائمة المصادر والمراجع:

1. تصريف الأفعال، أحمد محمد الشيخ، ط1، دار المورد، بيروت، 1987.
2. جمهرة اللغة، ابن دريد، ط1، بيروت، دار صادر، 1345هـ.
3. الخصائص، ابن جنّي، تحق. محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (د.ت).
4. شذا العرف في فن الصرف، أحمد محمد الحملاوي، ط16، 1965م.
5. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبو الحسن نور الدين الأشموني، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت).
6. شرح المفصل، موفّق الدين بن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
7. الكتاب، سيبويه، تحق، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت)
8. لسان العرب، ابن منظور، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
9. المختصر المفيد في أحكام التجويد، مجهول، ط1، مؤسسة الإيمان، بيروت، 1402هـ.
10. المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم الزمخشري، تحق، علي بوملحم، ط1، مكتبة الهلال، بيروت، 1993.